

الأفعال اللغوية في خطاب الشاعر مفدي زكرياء للرئيس أحمد بن بلة - مقارنة تداولية

Verbal acts in the discourse of Mofdi Zakaria to the
previous president Ahmed Ben Bella. Pragmatic approach

إسمهان عدوان^{1*}

¹ باحثة في الدكتوراه، جامعة الجزائر 2 - الجزائر

تاريخ النشر: 2019/12/31

تاريخ القبول: 2019/11/08

تاريخ الإرسال: 2019/05/07

الملخص:

نسعى من خلال هذا المقال العلمي قراءة جانب مهم من الخطابات التاريخية السياسية بمختلف أحداثها وقرارات زعمائها، هذه القرارات التي يشهد لها التاريخ أنها لم تكن مجرد أقوال ونصوص خالية من المقاصد والأغراض، بل وصفت بخطابات سياسية تواصلية تشكلت تحت تأثير نظرية الأفعال الكلامية التي تجاوزت المستوى الدلالي للخطاب إلى دراسة بنية الخطاب والإحاطة بكل وقائعه وأحداثه، باعتبار الخطاب رسالة لغوية يوظفها المخاطب للتواصل مع الآخرين والتأثير في العالم، وإعادة صنع أحداثه تجعل من الخطاب رسالة واضحة المعالم والأهداف، وهذا ما سنحاول تطبيقه على الرسالة التاريخية للشاعر مفدي زكرياء للرئيس أحمد بن بلة للوقوف عند مضامين وسياقات الخطاب اللساني المكتوب.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ التداولية؛ نظرية أفعال الكلام.

Summary:

We seek through this article to read an important aspect of historical discourse with its different events and its leader's decisions —this decision which history has witnessed are not empty texts and statements, but they were disc rived as political communication speeches under the influence of the theory of verbal acts that exceeded the semantic level of speech to the study of the structure of the discourse and of its facts and events. considering the discourse as a language message employed by the communicator to communicate with others and influence the word, and re-making its clear objectives and this is what we are

* الباحثة المرسلة: doctorat.ismahanadouan@gmail.com

going to apply in this historical message written by Mofdi Zakaria to the president Ahemed Ben Bella, in order to stand up to the contents and contexts of itten linguistic discourse.

Key- words: discourse; pragmatic; theory of speech.

تمهيد:

يشمل التواصل كل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان من كلام وأقوال اتخذت مع تطوره أشكالاً وأجناساً متعددة، تبعاً لغايات وأهداف معينة، فتعددت هذه الأشكال وانفرد كل واحد منها عن الآخر بمميزات ترتبط بهدف يختلف من جنس لآخر حسب طبيعته، وحسب القضايا التي يطرحها والأدوات التي يتوصل بها، فالشعر له وسائله وقضايا وأدواته، وللقصة معاييرها، وللخطبة تقنياتها والشيء نفسه للمقالة الصحفية أو الخطاب السياسي الذي ينبني على الحجاج باعتباره جنساً من أجناس التواصل يتميز بطبيعة المبادئ التي تحكمه، والبنى التي تحدد القضايا التداولية التي تعطيه هويته كقيمة تواصلية. لقد شغل الخطاب بكل أنواعه المختلفة وخاصة الأدبية والاجتماعية اهتمام الدارسين اللسانيين وغير اللسانيين متجاوزين بذلك حدود اللسانيات السوسيرية في ما يعرف بتحليل الخطاب.

أهمية التحليل اللساني التداولي:

تكمن أهمية تداولية الخطاب في أنّ مقاربتها للغة تكون أثناء الاستعمال الفعلي لها، لا مقارنة مجردة من السياق والعوامل الخارجية الاجتماعية والنفسية المحيطة بإنتاج الكلام، كما أننا نكون مجبرين، معها على الخوض فيما يقع وراء اللغة: أي القصد واستطلاع ما في ذهن المتكلم أو الكاتب¹. يقول "جورج يول": إن التحليل التداولي للخطاب يعد الأكثر تخصصاً لتركيزه على ما لم يتم قوله، وما لم يكتب ضمن الخطاب المراد تحليله.² ويصفه "عمر بلخير" بأنه تحليل ممتع نظراً لما توفره لنا التداولية من رحابة في الإجراءات والاتجاهات العديدة التي فتحت آفاقاً جديدة في التعامل مع الظاهرة اللغوية بالخروج من مأزق البحث اللغوي البنيوي الذي أقصى كل ما هو خارجي عن بنية النص، ومع ذلك

¹ ينظر: جورج يول، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ودار الأمان، الرباط، ط 1، 2010، ص 128.

² المرجع نفسه، نفس الصفحة.

يعترف بأن هذه الرحابة التي تتميز بها التداولية تشكل مأزقا آخر للباحث، لأنه يجد نفسه أمام ركام معرفي كبير من الإجراءات والمصطلحات والمفاهيم.¹ كانت اللسانيات المنحدرة من أعمال الفلسفة التحليلية للأفعال اللغوية عند أوستين 1970، وسيرل 1972، وقواعد الحوارية عند غرايس 1979، هي اللسانيات التي اهتمت بدراسة مختلف نماذج الأفعال اللغوية التي عرفت بالأفعال الكلامية وشروط استعمالها، كما اهتمت بدراسة مختلف الوسائل اللسانية التي يتوفر لدى المتكلم من أجل إيصال الفعل اللغوي، وفي الوقت نفسه اهتمت بإشكالات مثل:

1. هل يتحقق الفعل بوضوح أو بشكل ضمني لدى السامع؟
 2. هل يرتبط بحضور علامات لسانية أو على العكس من ذلك يحدده سياق القول؟
- كانت هناك دراسة أساسية تهتم بتحليل الأفعال اللغوية داخل الخطاب، أي الشروط التي لا تحدد فقط أيضا الملاءمة السياقية أي فاعليتها ومناسبتها، وقد تأثرت هذه الدراسات بما كانت تعج به الساحة الثقافية على مختلف الأصعدة العلمية وخاصة منها الفلسفية والاجتماعية ثم الأدبية، وهكذا اعتبر اللجوء إلى الاستعمال والمقام (وهي مفاهيم تداولية) كهدف يجعل العلاقات الدلالية تكشف عن نفسها في الأقوال، بدل تركها قابضة في أعماق الفرد، فما يثيره القول وما يعبر عنه المعنى هو معناه التداولي مقابل معناه التمثيلي أو الدلالي، ومن الكلام انطلقت التداولية لوصف اللغة على عكس لسانيات دي سوسير التي درست الجمل كما هي متماهية مع مضامينها التمثيلية، ومن الكلام كان اهتمام اللسانيات التداولية باستعمال اللغة من قبل المتكلمين، حيث أصبح المعنى لا يمثل بعض حالات الشيء فقط، ولكنه يعبر عن أفكار ومشاعر معينة تحدد الغايات التي يقصدها المتكلم، ذلك أن المعنى لا يتحدد كحالة الأشياء أو صورة ذهنية أو مضمون معرفي، وإنما يتحدد بما يتيح من إمكانات كما في المثال:

الكتاب غالي الثمن

- | | | |
|----|-------------------|-----------|
| 01 | إمكانية رقم واحد | لا تشتريه |
| 02 | إمكانية رقم إثنان | اشتره |
| 03 | إمكانية رقم ثلاثة | احذر |

¹ ينظر: عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2013 م، ص 63.

وكل هذا حسب السياق الوارد في الجملة.

- إن وصف قول ما، هو وصف لنوع الفعل الذي يستوفي القول تحقيقه (أمر، نهي، تمني، ..)، أي كل فعل اعتقادي من شأنه أن يؤدي إلى فعل عملي مناسب، وليس غريبا أن يقول "كرناب" إن النحو الوصفي والدلالة تأسسا في الواقع على معارف تداولية ولقد لخص أوستين رأيه في دراسة اللغة باعتبارها حقيقية تخص الأشخاص المتكلمين لا دراسة اللغة في ذاتها. ثم يضيف لقد درست اللغة في ذاتها بكثير من العمق، وهي اليوم ينبغي أن تدرس من أجل حقيقة أخرى هي حقيقتنا نحن كأشخاص نتكلم، أي أن مجموع أفعال الخطاب هي التي تكون بالدرجة الأولى نظرية التواصل التي تكون بدورها مجالا تحتيا لنظرية الفعل التي لا تخرج في غالب الأحيان عن ثلاثة مرامي:

1. يعد فعل التواصل تحويلا وتعديلا للعلاقة المتكلم بالسامع؛

2. لا توجد وسيلة للكلام عن المعنى دون الكلام في نفس الوقت عن الهدف؛

3. كل فعل تواصلي ينتج أثارا مختلفة بمجرد وجود تعبير كتابي أو شفوي.

وهذه المرامي تطرح مسألة الشروط التي يجب استيفاؤها حتى يقوم الفعل بأدواره المرجوة، كما تطرح مسألة نشاط المؤولين والفاعلين في عملية التواصل، إن تفسير كل ذلك النشاط الذي يقوم عليه الفاعلون في عملية التواصل هو من مهام التداولية نظرا لارتباط الأقوال بالأفعال.

وفي هذا السياق، يذهب إيكو إلى اعتبار التداولية بمثابة المعرفة العميقة، أو هي خاصيتها الأساسية، أي المعرفة العميقة بالنفس البشرية والمعرفة العميقة بدلالات الكلمات، والمفاهيم ومعرفة عميقة بالماضي والحاضر، ومعرفة عميقة بالعلاقات القائمة بين الأشياء والظواهر والأفكار والأحداث والوقائع، ومعرفة عميقة بالقضايا العلمية الفنية كانت أو سياسية، ومعرفة عميقة بعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بالعالم.

تداولية أفعال الكلام:

تعدّ نظرية الأفعال الكلامية من بين النظريات التداولية التي كان لها صدى كبير في مجال الدراسات اللسانية بالخصوص¹ بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة

¹ فطومة لحماي، تداولية الخطاب المسرحي، مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، أ. نومذجا، الملتقى الدولي الخامس، السميّاء والنص الأدبي، جامعة تبسة 591.

لنظرية أفعال الكلام، وقد مرت هذه النظرية بعدة مراحل لعل أهمها مرحلة التأسيس ويمثلها جون أوستين ومرحلة النضج والضبط جون روجرز سيرل وكلاهما من فلاسفة أوكسفورد.

انطلاقاً من مفهوم التداولية المبني على أساس أنها نظرية تبحث في علاقة العلامة بمستعملها، متجاوزة بذلك استعمال اللغة إلى الإنجاز، فإن الحديث عن التداولية يحيل مباشرة إلى الحديث عن أفعال الكلام، لأنها تعكس لنا الجانب المادي للأعمال التداولية، فالفعل اللغوي كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي، تأثيري، وفضلاً عن ذلك يعد نشاطاً مادياً نحويًا يتوسل أفعال قولية *actes locutoires* لتحقيق أغراض إنجازية (*actes illocutoires* كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ)، (وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي) كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذو تأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسسياً، ومن ثم إنجاز شيء ما¹. وبعد تصفح بعض مراجع مدونة اللسانيات التداولية، نقف عند أهم القضايا والموضوعات التي يراها أعلام التداولية جوهر الدرس التداولي، وهي: أفعال الكلام، والملفوظية، والحجاج، والتفاعلية والسياق، والمقصدية، والوظائف التداولية.

- نظرية أفعال الكلام عند أوستين: ميز "أوستين" بين نوعين من أفعال الكلام:

أفعال إخبارية: وهي أفعال تخبر عن وقائع العالم وتكون خاضعة لمعيار الصدق أو الكذب، وهي صادقة أو كاذبة، فصدقها يثبت بمدى تحقق عبارة عن جمل إثباتية أو تقريرية يمكن الحكم عليها بخلاف ذلك². فجملة الجزائر دولة إفريقية، الوضع الذي تصفه فعلاً في الكون، وكذا تمثل فعلاً إخبارياً يتأكد صدقه من خلال مطابقته للواقع، أما جملة: ملك فرنسا أصلع، فهي تمثل فعلاً إخبارياً كاذباً، لأنه مخالف لواقع فرنسا التي لها رئيس لا ملك. ليوكد بأن هناك جملاً لا يجري عليها هذا المعيار وأطلق عليها اسم الأفعال الإنجازية.

أفعال أدائية إنجازية (إنشائية): وهي أفعال لا تصف الواقع بل تعمل على تغييره. ولاحظ أوستي أن الكثير من الجمل غير الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية لا تصف العالم، ولا

¹ مسعود صحراوي: مرجع سابق، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 40.

² آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني،، درا الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 30.

يحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق، وهذه الجمل تستند إلى ضمير الإنشائية لها خصائصها التي تميزها عن الجمل الخبرية الوصفية، من ذلك أن المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من "أمر"، و"وعد"، و"أقسم" و"عمد"، يفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل¹، وفي مرحلة ثانية من تطور نظرية أفعال الكلام حاول أوستين مراجعة وتعديل هذه التقسيمات والشروط التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية، فرأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا و تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ولا يمكن تجزئتها أو فصلها إلا من قبيل التيسير الإجرائي قصد الفهم والدراسة فقط وهي:

فعل القول أو **الفعل الصوتي** أو **اللفظي** أو **الفعل اللغوي**: *Acte locutoire*: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة²، حيث جعله يحتوي عدة مستوي المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، غير أن "أوستين" أطلق لفظ بدل مستوى.

الفعل المتضمن في القول أو **الفعل الغرضي** أو **الإنجاري** *Acte illocutoire*: ويقصد به الغرض الإنجاري للفعل، أو الأفعال المنجزة حقيقة، بحيث يلزم المتكلم نفسه أو غيره متلقيه بعمل شيء من خلال أقوال، كالوعد، والتحذير، والأمر والنهي، ويشكل الفعل الإنجاري الحقيقي أساس النظرية التداولية، لأنه يجسد الجانب التواصلية منها، ويرتبط بالغرض أو القصد، وهذا ما جعل "فاندايك" يزاوج بين الفعل الإنجاري والسميائية، لأن هذا النوع من الأفعال يتطلب متلقيا لتأويل الفعل، وقدرة المرسل على تبليغ خطابه، والتعبير عن قصده لتحقيق التواصل فاستعمال اللغة ليس عملا فرديا بل عملية اجتماعية تتم من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم³.

الفعل الناتج عن القول أو **الفعل التأثري**: وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما، وهو فعل ثالث يقوم به المتكلم ويتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، كالإقناع، الإرشاد، العتاب... وبناء على ذلك فالفعل الكلامي له ثلاث خصائص:

¹ المرجع نفسه، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 31.

³ فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000، ص.

1. إنه فعل دال؛
 2. إنه فعل إنجازي، أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات؛
 3. إنه فعل تأثيري، أي يترك آثار معينة في الواقع خصوصاً عندما يكون الفعل موفقاً.¹
- وجّه "أوستين" اهتمامه بالفعل الإنجازي حتى غدت نظرية أفعال الكلام تسمى باسمه أحياناً الإنجازية، ولم يخف عدم رضاه عن النظرية الإنجازية، ليقدم تصنيفاً خامساً للأفعال على أساس قوة التصنيف، وهو كما يلي:
- أفعال الأحكام الإقرارية : في نحو حكم يصدره قاض أو مسؤول : ... حكم، قدر، قوم، شخص عين، وصف، حلل ... إلخ.
 - أفعال (القرارات) التمرسية : وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالطرد والإذن والتعيين. وهو كل فعل يعبر عن اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضده مثل : عين، حذر، حرم، أذن، نصح، جند، اختار، طرد ... إلخ.
 - أفعال التعهد التكليفية: تعهد المتكلم بفعل شيء كالوعد والضمان والتعاقد والنذر .. مثل: وعد، تعهد، تعاقد، ضمن، كفل، قبل، التزم ... إلخ.
 - أفعال السلوك الإخبارية: وتتمثل في ردود أفعال لأحداث ما، كالاعتذار، والشكر، اعتذر، تعاطف، هنا ... إلخ.
 - أفعال الإيضاح: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر، أو بيان الرأي، مثل: الاعتراض، والإنكار²، كل فعل يؤتي به لتوضيح وجهة نظر أو بيان الرأي وذكر الحجة، مثل: اعترف، رد، أثبت، اعترض، افترض، شك، استفهم، وافق، أكد، أنكر، أجاب، وهب، فسر ... إلخ.
- ومع ما بذله أوستين من جهد في سبيل إقامة نظرية متكاملة لأفعال الكلام، فإنه لم يوفق كل التوفيق فقد ظلت أعماله تفتقد للأسس المنهجية الواضحة، ولم تتحدد معالم هذه النظرية إلا مع معي تلميذه ج. ر. سيرل وتلك هي المرحلة الثانية في تطور هذه النظرية. الأسس المنهجية للأفعال الكلامية عند جون سيرل: يمكن عرض ما جاء به "سيرل" على النحو الآتي وقد جعل الأفعال الكلامية خمسة أصناف مثل "أوستين، وهي:

¹ صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص ص، 42-43.

² محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

■ أفعال الإثبات الإخباريات: والغرض الإنجازي فيها جعل المتكلم مسؤولاً عن وجود وضع للأشياء، وأفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها وتشمل التأكيد، والوصف . . . وأفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق والكذب.

■ أفعال التوجيه أو الطلبات: وغرضها الإنجازي حمل الشخص على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة وتشمل الأمر والنهي والطلب .

■ أفعال الوعد (الالتزاميات): وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بالقيام بشيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، وتشمل الوعد والوصية .

■ التعبيرات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية، وليس لهذا الصنف من الأفعال اتجاه مطابقة، لا توجد علاقة هنا بين الكلمات والعالم، وشرط الإخلاص فيها هو الصدق، وتشمل، الاعتذار والمواساة .

■ الإعلانات: والغرض الإنجازي فيها إحداث تغيير عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص وتشمل: الإعلام، والإخبار، والإعلان،¹ وفي تمييزه بين الأفعال الإنجازية أشار سيرل إلى اثني عشر بعداً يختلف فيها كل فعل إنجازي عن الآخر، يمكن ذكر أهمها:

- الاختلاف في الغرض الإنجازي: يبين أن الغرض من الأمر مثلاً هو التأثير في السامع وحمله للامتثال بفعل ما، في حين أن الغرض الإنجازي مثلاً إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل.

- الاختلاف في اتجاه المطابقة: في بعض الأفعال الإنجازية يكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، كالوعد والرجاء، وفي بعضها الآخر من الكلمات إلى العالم كالإخباريات.

¹ المرجع نفسه، ص 50.

الاختلاف في الموقف النفسي: الذي يعبر عنه المتكلم، فالذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصديته والذي يعتذر يعبر عن ندمه والذي يأمر أو ينهى يعبر عن رغبته¹.

- الاختلاف في القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي: ففرق بين قولك: أنا جائع، وإني لجائع، ففي عرض الغاية الكلامية هناك فرق في الشدة والقوة بين المثالين كان دعامتها التوكيد ب:إن، واللام المرحلقة الواقعة في خبر إن، ومثل هذا يدخل في أضرب الجملة الخبرية.

- الاختلاف بين وضع المتكلم والسامع: ويظهر ذلك في الوضعيات التي تكون فيها مكانة المتكلم أسى من مكانة السامع، كأن تكون اجتماعية أو أخلاقية أو إدارية، تجدر الإشارة إلى أن "أوستين" وسيرل قد اختلفا في مصدر قوة المنطوق الإنجازية، "أوستين" يرى أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقا ناجحا، أما "سيرل" يرى أن القوة حاصل تفسير المستمع للمنطوق².

تصنيف "سيرل" للأفعال الإنجازية: إذا كان "أوستين" قد فرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، فإن "سيرل" ذهب إلى أكثر من ذلك، وجاء بتصنيف أوسع عندما ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.

1-الأفعال الإنجازية المباشرة: وهي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقا لما يريد قوله، ويدخل هذا في معاني الكلمات التي تكون المنطوق وقواعد تأليفها وضع اللغة.

2-الأفعال الإنجازية غير المباشرة: وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي أن "يتحقق من خلال فعل إنجازي آخر. ففي المثال المشهور الذي قدمه "سيرل": "هل يمكنك أن تناولني الملح" يبدو ظاهر المنطوق استفهاما، ولكن الدلالة لا تشير البتة إلى الاستفهام إنما تشير إلى طلب الالتماس.

الإطار التداولي للمدونة:

التعريف بالشاعر مفدي زكرياء:

¹ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 160 - 161

² محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط 1، 2005، ص 288

هو مفدي زكرياء بن سليمان لقبه آل الشيخ أو آت الشيخ¹ ولد ببني يزقن من قرى وادي، بدأ تعلمه بالكتاب في مسقط رأسه وفي ميزاب بالجنوب الجزائري في 12 أفريل 1908² السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة حيث يعمل أبوه تاجرا، وفيها واصل دراسته. في سنة 1924 ذهب إلى تونس ضمن بعثة طلابية، فزاول دراسته بمدرسة السلام ثم بالمدرسة الخلدونية ثم بجامع الزيتونة، حيث رجع إلى الجزائر في أواخر سنة 1926 وقد بدأ حياته الشعرية الجادة بقصيدة "إلى الريفين" نشرها في جريدة "لسان الشعب" في ماي 1925 وجريدة "الصواب" التونسية ثم في الصحفيتين المصريتين "اللواء" و"الأخبار". لم يستطع مفدي زكرياء أن يتغلى عن التفاعل الحميم مع الحركة الوطنية بشعره ونضاله على مستوى الجزائر والمغرب العربي، مما أدى إلى اعتقاله في فترة دراسته بتونس، فاعتقل لمدة نصف شهر كما أدخل السجن لمدة سنتين من عام 1937 إلى عام 1939. وغداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى انخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة، وألقي عليه وعلى زملائه المشكلين لهذه الخلية القبض، فأودعوا السجن بعد محاكمتهم، فبقي فيه لمدة ثلاث سنوات من أبريل 1956 إلى فبراير 1959. وبمجرد خروجه من السجن فر إلى المغرب، ومنه انتقل إلى تونس للعلاج مما أصابه في السجن من آثار التعذيب، وبعد ذلك كان سفيرا لقضية الجزائرية بشعره في الصحافة التونسية والمغربية كما كان سفيرها أيضا في المشرق لدى مشاركته في مهرجان الشعر.³

وصف المدونة: هي عبارة عن رسالة كتبها شاعر الثورة مفدي زكرياء إلى الرئيس أحمد بن بلة قبل شهر من الانقلاب عليه، حاول فيها الدفاع عن نفسه وتبرئتها من التهم التي ألصقت به.

تحليل رسالة الشاعر مفدي زكرياء للرئيس السابق أحمد بن بلة:

قسم أوستين بين الملفوظات الوصفية أو التقريرية أو الاخبارية وبين الملفوظات الانجازية الأدائية الانشائية التي تختلف عن الأولى، كونها لا تصف واقعا خارجيا، ولا تخضع لمعيار

¹ يحي الشيخ صالح 'شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ص 38.

² محمد الطار تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 4.

³ المرجع نفسه، ص ص 44/43.

الصدق أو الكذب، بل تكمن أهميتها في كونها ذات طابع إنجازي أن ينجر عنه فعلا بمجرد التلفظ به، عكس الملفوظات الوصفية التي تصف واقعا خارجيا.

الأقوال التقريرية أو الوصفية: ويطلق عليها عند العرب الأساليب الخبرية لشيء أو شخص وقد سماها العرب الأساليب الخبرية لكونها تحمل صفة الصدق أو الكذب. ومن بين الأقوال الموجودة في خطاب الشاعر مفدي زكرياء نجد الملفوظات الوصفية بكثرة كون الشاعر يصف ويسرد الوضع الصعب الذي آلت إليه البلاد، وهذه الأفعال هي التي تجعل المتكلم مسؤولا عما يقول إزاء حالة الأشياء في الكون، كما يعتقد المتكلم لذلك تكون الحالة النفسية تقرير الموجود عنها فيها الاعتقاد واتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم. ومن بين الملفوظات الوصفية نجد:

- أخاطبك في هذه الرسالة بالإبن لا بالرئيس ...
 - بثّ الفكرة الاستقلالية بالجزائر سنة 1935...
 - كانت الأرض والسماء كلها ضدنا ...
 - عشت معه في مختلف مراحل النمو الاجتماعي ...
 - كان الكثير من المتصرفين في مصير الشعب يرددون أناشيدي ...
- إلى غير ذلك من الملفوظات التقريرية التي تعتبر غنية جدا في رسالة الشاعر مفدي زكرياء حيال الرئيس السابق أحمد بن بلة.
- الأقوال الإنجازية أو الأدائية: لا تصف ولا تخبر، تكمن في أن التلفظ يساوي تحقيق فعل في الواقع ويحكمها معيار التوفيق أو الإخفاق وقد صنفها سارل إلى أفعال مباشرة وغير مباشرة:

الأفعال المباشرة: ومن الأمثلة على ذلك نجد:

الدالة على الإثبات: فالتكلم يحمل المتلقي على الاهتمام بما يقول، وهدفه هو جعل محتوى الفعل فعلا وهذه الأفعال تفيد عدة أغراض:

- أفعال التأكيد: ونجد منها في النص:
- أكتب إليك هذه الكلمات الصريحة من تونس تأكيداً للرسالة التي وجهتها لك بعاصمة الجزائر ...

- أخاطبك بالابن لأنني أحبك كأحد أبنائي ...
- ناضلت في صفوف الحزب الدستوري التونسي منذ عهد دراستي 1928 ...

الأفعال الدالة على التصريح:

- فقد كنت الرعيل الأول الذي غرس روح الوطنية ...
- بينما جل المخلصين وأحرار الضمير هاجروا للخارج ...

أفعال دالة على الوصف:

- أتوسم فيك الخير لما أعهدك فيك من نزاهة وإنصاف وقبول كلمة الحق مهما كان مرة وأليمة....
- لاحظت مع ذلك جوا خانقا يحيط بي من دعايات مغرضة وكاذبة يوم بها أغرار المخبرين....
- ما عرفت في الرجل الذي أحبه أقدس إلا النزاهة...
- وجدت من بورقيبة وشعبه كرامتي الموفورة

الأفعال الدالة على الأمر:

- أطلب منك شيئا واحدا هو أن تعقد جلسة مع غيرك على ضوء هذه الرسالة ...
- لينير أمامك طريق الحق ...
- أفعال العرض: وهي أفعال الحجاج ولقد تم حصرها في التأكيد النفي، الشرح، التوضيح، النداء، النفي..
- التأكيد: أعرف الأخ بورقيبة منذ 30 سنة ...
- ناضلت في صفوف الحزب الدستوري منذ عهد دراستي ...
- لأنني أسير في حياتي بهدي العقل الرصين...
- أنني عين من عيون بورقيبة ...

أفعال التوجيهات: يستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر حينما يعطي أولوية لقصده بهدف تحقيق هدفه، وتبليغه، فيكلف المتلقي بعمل ما، أو توجيهه سواء لمصلحته أو إبعاده عن خطر ما، فيلجأ إلى هذه الاستراتيجية التوجيهية في شكلها المباشر، ويكون التوجيه من خلال الأفعال المعجمية الدالة بنفسها دلالة معجمية صريحة كالأمر، والنهي والاستفهام والنداء، ومن الأمثلة على ذلك نجد:

- أنت تعلم بلا شك الحالة المبهولة التي آل إليها اقتصاد البلاد ...
- تتكبد ميزانية الدولة من جراء الأخطاء..
- لا تجهل التدهور المعنوي والخلقي الذي تتكبد ميزانية الدولة ...

- أنت تعلم أن الجزائر في حاجة إلى التصنيع...
- لكن شيئا لم يقع لأن جل المسؤولين عاجزون...
- الأقوال الدالة على الاستفهام: تنوعت أدوات الاستفهام بين لا، وهل، ولم، والتي تتوزع في المدونة حسب ما يقتضيه المقام للدلالة على حيرة الشاعر، فملتكم ملزم هنا بتسريب كل معلوماته التي يمتلكها عن القضية موضوع الخطاب وهو أسلوب يقتضي بدوره سرعة الاستجابة.
- لا أحاول مهما تعفنت الأوضاع تعقيد مهمة العاملين....
- لا تجهل انعدام الثقة بين أفراد المجموعة...
- لم يقع الآن جل المسؤولين عاجزون...
- لا أخاف في الحق تهديدا ولا وعيدا...
- لا أرجو منكم خيرا ولا شكورا...
- وهل أصبحت الجزائر تضيق على الأحرار إلى هذا الحد... هل الجنسية التونسية غير جنسية عربية إسلامية... ثم ماذا... ألاّتي مدحته...

أفعال الشرح:

- غلبتهم معدتهم فهم غير راضين بالوضع...
- يعملون كالآلات الصماء...
- يتظاهرون بالولاء ويحطمون في الخفاء...
- وأن ميزانية التجهيز تكفي لأن تجعل من بلاد الجزائر جنة فوق الأرض

أفعال الحجاج:

يشجعي على هذه الطريقة اعتزازكم بالفاروق عمر بن الخطاب ... واستشهادكم به في كل مناسبة...

أفعال النداء: يعتبر عنصر النداء هنا بمثابة صرخة قومية فيه تعبير عن مدى وجع الشاعر وتعلقه بالجزائر وانتائمه إليه، يتابع الشاعر في مقام الحزن موجها خطابه إلى أبناء قومه فالحالة النفسية المصاحبة لهذا النداء تنم عن رغبة الشاعر الملحة في التعجيل والاستجابة لخطابه، فيما يخص وطنه الجزائر.

- أيها الناس من رأى منكم منكرا فليقومه...
- هذه يا بني الحقيقة المرة التي يفرض علي ضميري أن أصارك بها...

أفعال القسم:

- والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه...

أفعال النفي:

- لا تجعل التهور المعنوي والخلقي الذي جرف الشباب...
- وقضى على ضمائر كثيرة من المسؤولين...

أفعال السلوكيات:

- لا يسمح لعواطف الأبوية أن تخاطب قلبك بدون جواز مرور..
- أخاطبك بالابن لأنني أحبك كأحد أبنائي...
- أتوسم فيك الخير لما أعده فيك من نزاهة وإنصاف وقبول كلمة الحق مهما كانت مرة وأليمة

- حاول الانتهازيون تضليلك وتغريك لاستغلال طبيعتك ..
- وقد كانت حيرتي عظيمة وأليمة حين وجدت نفسي في عقر داري محاطا بالألغام ..
- من مصالح الشرطة تضايقي في مكتبي في داري في الشارع...
- لاحظت مع ذلك جوا خانقا يحيط به من دعايات مغرضة كاذبة...
- بثّ التفرقة بين الإخوان وتسميم جو العلاقات بين الأشقاء...
- أجد نفسي في هذا الجو البولسي الإرهابي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال...
- كيف كنت أعيش في الكتمان وأتحايل على البوليس لأنجو بحيرتي وحياتي ..
- تذكرني فترة فراري من السجن والأيام المرعبة التي عشتها متنكرا...

نتائج الدراسة:

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية من الاتجاهات اللسانية الحديثة، حققت إنجازات علمية وفكرية، واندرج تناولنا لموضوعنا في هذا المقال العلمي في إطار تطبيق هذه النظرية على خطاب الشاعر مفدي زكرياء حيال الرئيس أحمد بن بلة، واستنادا إلى النماذج التي تم الوقوف عندها، توصلنا إلى جملة من النتائج نوردتها في التالي:

بعد تحليلنا لرسالة الشاعر الجزائري مفدي زكرياء التي وجهها للرئيس أحمد بن بلة، تبين لنا أن خطاب الشاعر مزيج بين الأفعال التقريرية الوصفية والملفوظات الانجازية، فالشاعر استخدم الأفعال الوصفية بكونه يقف مقام الواصف للوضعية التي آلت إليها البلاد، وبالتالي تكون الحالة النفسية للمتكلم تقرير الموجود، وفي نفس الوقت الشاعر

لم يستغن عن الأفعال الانجازية التي وردت بشكل كبير داخل خطابه، الشاعر استخدم الملفوظات الانجازية فهو يحمل المتلقي الرئيس على الاهتمام بما يقول في رسالته أو نصحه بالابتعاد عن شيء ما، فهدفه هو جعل محتوى الفعل فعال ومؤثر، والأفعال الانجازية ممزوجة بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة فنجد الأفعال المباشرة الدالة على الإثبات كالتأكيد، التصريح إلى جانب أفعال الوصف، كما استخدم الشاعر أفعال التوجيهيات، فالشاعر مفدي زكرياء من خلال رسالته يحاول تحقيق هدفه من رسالته، التي وجهها إلى الرئيس بالقيام بفعل ما أو إبعاده عن خطرا، حيث استخدم الأفعال المعجمية الدالة على الأمر، والنهي والاستفهام، كما نجد النص مشبع بأفعال السلوكيات فالشاعر بصدد البوحيات النفسية والاجتماعية التي وردت في الرسالة بشكل كبير جدا، كونه يتأسف عن ما آل إليه وطنه الجزائر وأنه غير راض على الوضع الذي يعيشه الشعب الجزائري.

قائمة المراجع:

1. آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
2. جورج بول، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
3. عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2013
4. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية.
5. فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.
6. فطومة لمهادي، تداولية الخطاب المسرحي، مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، أ نموذجاً، الملتقى الدولي الخامس، السبياء والنص الأدبي، جامعة تبسة.
7. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.
8. محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2004.
9. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، دط.